حديث "من تقرب إليّ شبراً تقربت منه ذراعاً.."

دراسة تحليلية عقدية

أ.د. خالد بن عبد العزيز السيف
أستاذ في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
جامعة القصيم
المملكة العربية السعودية

حديث "من تقرب إليّ شبراً تقربت منه ذراعاً.." دراسة تحليلية عقدية

خالد بن عبد العزيز السيف

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة القصيم المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : kasaif@gmail.com

الملخص:

هذا البحث دراسة عقدية لحديث أبي هريرة رضي الله عنه برواياته عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه قال: "وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة" وهو حديث صحيح كثر رواته وتضافرت كتب الحديث على إخراجه، وهو أصل عظيم في الحثِّ على التقرب إلى الله بشتى أنواع الوسائل.

ولما كانت صفة القرب لله تعالى والإتيان والمجيء والمشي والهرولة وغيرها من الصفات الاختيارية التي كثر فيها النزاع بين السلف ومخالفيهم ممن ينفي قيام الصفات الاختيارية بالله سبحانه وتعالى؛ فقد بين هذا البحث أن لله سبحانه وتعالى مع خلقه معية لا توجب حلولاً ولا اختلاطاً، كما بين البحث أن القرب الوارد في الحديث من العبد إنما يكون بالأعمال الصالحة في الدنيا سواء كان قربه بعلمه، أو بتقريب الله العبد إليه، أو كان المراد بقرب الله تعالى بنفسه، وهو قول أهل السنة وينفيه من ينفي قيام الصفات الاختيارية به سبحانه، كما بين البحث صفة الهرولة والإتيان والمشي كما جاء بها الحديث مع مناقشة آراء المخالفين فيها.

كلمات مفتاحية: صفة القرب والهرولة لله تعالى، الصفات الاختيارية لله تعالى، صفات الله تعالى.

: "Whoever comes close to me by an inch, you draw an arm from him".. Decodal analytical study

Khalid bin Abdul-Aziz al-Saif
Department of Islamic Doctrine &College of Shariʿah & Islamic Studies Contemporary Ideologies Qassim University Saudi Arabia
Email: kasaif@gmail.com

Abstract:

This research is a nodal study of the hadith of Abu Hurairah, may God be pleased with him, with his narrations on the authority of the Prophet In what he narrates from his Lord, he said: “And if you approach me by an inch, you draw a cubit to him. The hadeeth is to produce it, and it is a great basis for encouraging closeness to God by all kinds of means.

Whereas the attribute of closeness to God Almighty, coming, coming, coming, walking, jogging, and other optional traits in which there is a great deal of conflict between the predecessors and their opponents who deny the existence of optional attributes in God Almighty; This research has shown that God Almighty God Almighty with His creation does not require solutions or mixing, and the research showed that the proximity mentioned in the hadith to the servant is only through good deeds in this world, whether it is near him with his knowledge, or God draws the servant to him, or what is meant is the proximity of God Almighty By himself, and this is the saying of the Sunnis, and it is denied by those who deny the existence of optional qualities by Him, Glory be to Him, and the research showed the characteristic of jogging, coming and walking, as it was mentioned in the hadith, with a discussion of the opinions of the opponents about it.

Key words: Attribute of closeness and trot to God Almighty, optional qualities of God Almighty, attributes of God Almighty.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد

فقد حث الله سبحانه وتعالى على التقرب إليه بشتى صنوف القربات ورتب على ذلك الفضل العظيم ولا أرجى من أن يتقرب الله بنفسه إلى العبد كما هو مصداق حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه قال: "وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة"(١).

فهذا الحديث أصل عظيم في الحثّ على التقرب إلى الله بشتى أنواع الوسائل، وفيه مدى قرب الله تعالى من عبده المؤمن إذا تقرب العبد إليه، فالله أشد قرباً من العبد، وهذا من فضل الله ورحمته بعباده فهو المتحبب إلى عباده بالنعم وهم المتبغّضون إليه بالمعاصي، يضاعف الحسنات ويعفو عن التقصير والسيئات، فقد سبقت رحمته عقابه، وحلمه غضبه. والفقه الحقيقي لهذا الحديث هو العمل به كما أراده الله تعالى من التقرب إليه بالطاعات والمشي إليه بالعبادات، وهذا الذي فاز به السابقون من الصحابة والتابعين ومن اقتفى أثرهم ممن ترجم هذا الحديث إلى عمل يبقى لا إلى كلام يفنى.

وقد كثر اشتغال المتأخرين في بعض معاني هذا الحديث على حساب الفقه الحقيقي له، وخاضوا في مسائل تتعلق بالنص من حيث إثبات ما يجوز لله وما يمتنع من الصفات، حتى طغى ذلك وأنساهم المقصود الحقيقي لهذا النص القدسي وهو العمل به.

(١) أخرجه البخاري في التوحيد ح (٦٨٥٦).

وقد يكون من بعض المتأخرين من المنتسبين للمنهج السلفي من يتباهى بالحقيقة والتزامه بمنهج سلف الأمة في إثبات صفات الله تعالى كما يليق بجلال الله، وذم من يؤول هذه الصفات الواردة في الحديث وأمثالها؛ مع أنه قد يكون بعض من يؤولها قد قام بحقيقتها والتزم ما أمرت به من التقرب لله والتعرض لرحمته في الثلث الأخير من الليل وقت النزول، وإن كان يؤول النزول الحقيقي، مالم يقم به المثبت لهذه الصفة والمتباهي بذلك الإثبات، وهذا بالتأكيد لا يمنع من الرد عليهم.

ولذلك فعلى الدارس لمسائل الأسماء والصفات أن لا تشغله مجادلات أهل الكلام عن الفقه الحقيقي لمعاني الصفات، حيث القصد الأعظم هو العمل بها.

وهذا الحديث دعوة عظيمة من رب العالمين وعرض مجزل من ملك الملوك يدعو عباده إلى التقرب إليه لما أقفل ملوك الأرض أبوابهم.

ولما كانت صفة القرب لله تعالى والإتيان والمجيء والمشي والهرولة وغيرها من الصفات الاختيارية التي كثر فيها النزاع بين السلف ومخالفيهم ممن ينفي قيام الصفات الاختيارية بالله سبحانه وتعالى كانت دراسة حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "من تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً..الحديث" دراسة عقدية متتبعاً روايات الحديث، وقد حرصت أن تكون الدراسة متعلقة بأهم مسألة في البحث وهي مسألة القرب من رب العالمين، ويدخل في هذا جميع معاني القرب الواردة في هذا الحديث كمشي الله إلى العبد وهرولته إليه، وقد ركزت على بيان موقف شرّاح الحديث من المعاني العقدية الواردة في هذا الحديث بما أن البحث يدور حول معاني هذا الحديث، ولما بذلوه من جهد في شرح معانيه، ولكن لم يوفقوا للصواب في بعض ما ذهبوا إليه، وقد قسمت البحث إلى المباحث التالية:

المبحث الأول: تخريج الحديث وبيان رواياته

الرواية الأولى: رواية أبي هريرة.

الرواية الثانية: رواية أنس بن مالك.

الرواية الثالثة: رواية أبي ذر.

الرواية الرابعة: رواية أبي سعيد الخدري.

الرواية الخامسة: رواية رجل من أصحاب النبي ﷺ.

المبحث الثاني: دراسة متن الحديث وما تضمنه من مسائل

المطلب الأول: في قوله: "أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني.."

أولاً: تعريف الظن في اللغة.

ثانياً: معنى الظن في هذا الحديث.

ثالثاً: في معنى قوله: "وأنا معه إذا ذكرني..".

المطلب الثاني: في قوله: "فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ..".

أولاً: في معنى قوله: "فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي..".

ثانياً: في معنى قوله: "وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملأ خير منهم..".

المطلب الثالث" في قوله: "وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً..".

أولاً: محددات لغوية.

ثانياً: بيان معنى قرب الله من العبد.

ثالثاً: مناقشة المخالفين في معنى صفة القرب.

رابعاً: الصفات الواردة في هذه الجملة من الحديث مع مناقشة المخالفين فيها:

أ ــ صفة الهرولة.

ب ــ صفة الإتيان.

ج ــ صفة المشي.

والله أسأل أن أكون قد وفقت للصواب وأن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: تخريج الحديث وبيان رواياته

جاء حديث القرب من رواية خمسة من الصحابة رضي الله عنهم وهم: أبو هريرة، وأنس بن مالك، وأبو ذر الغفاري، وأبو سعد الخدري، والخامس مبهم الاسم ونُصّ على أنه من أصحاب الرسول ﷺ.

وهذه الروايات تختلف أحياناً وتتفق أخرى في الزيادة والنقص أو الاختصار، إضافة إلى تغيير في بعض الألفاظ التي قد يترتب عليها بعض الأحكام الاعتقادية، وبعد الاطلاع على مجموع الروايات رأيت أن أقدم أجمع هذه الروايات –وهي الرواية المختارة– وهي رواية أبي هريرة، مُتبعاً إياها الروايات الأخرى وبيان وجه الاتفاق والاختلاف بين هذه الروايات وبين الرواية المختارة، وهي ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ يقول الله تعالى: "أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة"(١).

وتفصيل روايات الحديث هي كالتالي:

الرواية الأولى: رواية أبي هريرة

يعتبر حديث أبي هريرة ﷺ من أوسع الأحاديث مخارج فقد أورده البخاري بسنده عن أبي هريرة وابتدأ الحديث بقوله "إذا تقرب العبد مني.. الحديث" ولم يذكر: "أنا عند ظن عبدي.. الحديث" وقال معتمر سمعت أبي سمعت أنساً عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل(٢).

---

(١) البخاري في التوحيد ح (٦٨٥٦).

(٢) البخاري في التوحيد ح (٦٩٨٣).

وأخرجه الإمام مسلم أيضاً عن أبي هريرة بنفس اللفظ المذكور –أي لفظ البخاري[١]– ورواه مسلم أيضاً بنفس السند المذكور ولكنه لم يذكر: "وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً"[٢].

وأخرجه مسلم أيضاً من طريق آخر بسند آخر عن أبي هريـرة ﷺ وزاد في وسطه: "والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بـالفلاة، ومن تقرب إلي.. الحديث"[٣].

وأخرجه مسلم أيضاً بسند آخر عن أبي هريرة ﷺ ولم يذكر: "أنا عند ظن عبدي بي.. فإن ذكرني.." بل ابتدأ الحديث بقوله: "إذا تقرب عبدي مني شبراً.."[٤].

وأخرجه مسلم من طريق آخر ولم يذكر: "إذا أتـاني يمشـي أتيتـه هرولة"[٥].

وأخرجه مسلم أيضاً من طريق آخر بسنده عند أبي هريـرة وابتـدأ الحديث بقوله: "إذا تلقاني عبدي بشبر تلقيته بذراع.. وإذا تلقاني بباع أتيتـه بأسرع"[٦].

وأخرجه الترمذي أيضاً قال: حدثنا أبو كريب حدثنا ابن نمير وأبـو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بنفس اللفظ المختار[٧].

وأخرجه بن ماجة أيضاً قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعلي بـن محمد قالا حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبـي هريـرة بنفس اللفظ المختار [٨].

---

(١) صحيح مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ح (٤٨٣٢)، (٤٨٥١).
(٢) صحيح مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ح (٤٨٣٢).
(٣) صحيح مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ح (٤٨٢٧).
(٤) صحيح مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ح (٤٨٥٠).
(٥)صحيح مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ح (٤٨٥٠).
(٦) صحيح مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ح (٤٨٣٣).
(٧)سنن الترمذي في الدعوات عن رسول الله ح (٣٥٢٧).
(٨) سنن ابن ماجة في الأدب ح (٣٨١٢).

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً قال: حدثنا عبد الواحد قال حدثنا سليمان الأعمش قال حدثنا أبو صالح قال سمعت أبا هريرة بنفس اللفظ المختار ولكنه قال: "ومن جاءني يمشي جئته مهرولاً"(١) .

وأخرجه أحمد أيضاً قال حدثنا روح وحدثنا عبد الملك بن عمرو وحدثنا زهير حدثنا زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة. ولم يذكر: "فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم". وزاد في وسطه: "والله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة". وذكر: "وإذا أقبل يمشي أقبلت أهرول"(٢).

وأخرجه أحمد أيضاً قال: حدثنا يحي عن سليمان التيمي عن أنس عن أبي هريرة قال: "لا يتقرب العبد إليّ شبراً.. الحديث" ولم يذكر: "أنا عند ظن عبدي بي.." ولم يذكر أيضاً: "وإن أتاني يمشي أتيته هرولة"(٣)

الرواية الثانية: رواية أنس بن مالك

أخرج حديث أنس البخاري قال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا أبو زيد سعيد بن الربيع الهروي حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس وابتدأ الحديث بقوله: "إذا تقرب العبد إليّ شبراً" ولم يذكر: "أنا عند ظن عبدي بي.. الحديث"(٤).

وأخرجه أحمد أيضاً قال حدثنا عفان حدثنا إبراهيم أبو إسماعيل القناد حدثنا قتادة عن أنس وابتدأ الحديث بقوله: "إذا تلقّاني عبدي شِبراً تلقيته ذراعاً.. الحديث" ولم يذكر: "أنا عند ظن عبدي.. الحديث"(٥).

---

(١)المسند ح (٨٩٨٢).
(٢)المسند ح (١٠٣٦٤)، (١٠٤٨٨).
(٣) المسند ح (٩٢٤٤).
(٤) البخاري في التوحيد ح (٦٩٨٢).
(٥) المسند ح (١١٨٣٩).

وأخرجه أحمد أيضاً قال: حدثنا حجاج بن محمد حدثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن أنس وابتدأ الحديث بقوله: "إذا تقرب العبد مني شبراً تقربت منه ذراعاً.. الحديث" ولم يذكر: "أنا عند ظن عبدي.. الحديث" (١).

وأخرجه أحمد أيضاً قال: حدثنا محمد بن جعفر وحدثنا يزيد حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس وابتدأ الحديث بقوله: "إن تقرب عبدي مني.. الحديث" ولم يذكر: "أنا عند ظن عبدي.. الحديث"(٢).

وأخرجه أحمد أيضاً قال: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس وابتدأ الحديث بقوله: "يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ من الملائكة أو في ملأ خير منهم، وإن دنوت مني شبراً دنوت منك.. الحديث"(٣).

الرواية الثالثة: رواية أبي ذر

أخرج حديث أبي ذر مسلم قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع، وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية كلاهما عن الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر وقال في أول الحديث: "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبراً.. الحديث" وزاد: "ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة" ولم يذكر: "أنا عند ظن عبدي بي.. الحديث.(٤).

وأخرجه ابن ماجه أيضاً قال: حدثنا علي بن محمد حدثنا وكيع عن الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر بنفس لفظ مسلم السابق بدون زيادة: "من لقيني بقراب الأرض خطيئة.. الحديث"(٥).

(١) المسند ح (١٣٥٠٢).
(٢) المسند. ح (١١٧٨٦)، (١١٨٧٠).
(٣) المسند ح (١١٩٥٦).
(٤) صحيح مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ح (٤٨٥٢).
(٥) سنن ابن ماجة في الأدب ح (٣٨١١).

وأخرجه أحمد أيضاً قال: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر بنفس لفظ ابن ماجة السابق(١).

وأخرجه أحمد أيضاً قال: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن نعيم قال: سمعت أبا ذر وابتدأ الحديث بقوله: "من تقرب إلى الله عز وجل شبراً.. الحديث" وفيه: "من أقبل على الله عز وجل ماشياً أقبل الله إليه مهرولاً" وزاد في آخره: "والله أعلى وأجل، والله أعلى وأجل" وجعل الحديث من قول النبي ﷺ وليس قدسياً(٢).

الرواية الرابعة: رواية أبي سعيد الخدري

أخرج حديث أبي سعيد الخدري الإمام أحمد فقال: حدثنا معاوية حدثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد وابتدأ الحديث بقوله: "من تقرب إلى الله شبراً.. الحديث" وفيه: "أتاه الله هرولة" ولم يذكر: "أنا عند ظن عبدي بي.. الحديث"(٣).

الرواية الخامسة: رواية رجل من أصحاب النبي ﷺ

هكذا ورد مبهماً عند الإمام أحمد قال: حدثنا إسحاق بن عيسى بن الطباع قال: حدثنا جرير يعني ابن حازم عن واصل الأحدب عن أبي وائل عن شريح قال: سمعت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقول: قال النبي ﷺ: قال الله تعالى: "يا ابن ادم قم إليَّ أمشي إليك، وامش إليّ أهرول إليك"(٤).

وبعد استعراض روايات الحديث وما بينها من اختلاف واتفاق وبين الرواية المختارة؛ فستكون دراسة الحديث عقدياً من خلال الرواية المختارة وهي رواية أبي هريرة لأنها أجمعها وأصحها كما سبق بيانه في أول هذا المبحث.

---

(١) المسند ح (٢٠٣٩٨).
(٢) المسند ح (٢٠٤١٠).
(٣) المسند ح (١٠٩٣٤).
(٤) المسند ح (١٥٣٦٠).

المبحث الثاني: دراسة متن الحديث وما تضمنه من مسائل

المطلب الأول: في قوله:" أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني.."

أولاً: تعريف الظن في اللغة

الظن شك ويقين، إلا أنه ليس بيقين تدبر، فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا علم. وربما عبروا عن الظن باليقين وعن اليقين بالظن[١]، وقال الجرجاني: "الظن: هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك. وقيل: الظن: أحد طرفي الشك بصفة الرجحان"[٢]. وقد يطلق الظن على اليقين كما في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللَّهِ}[البقرة: ٢٤٩] وقد يطلق الظن أيضاً على الشك كما في قوله تعالى:{وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ}[القصص: ٣٩].

ثانياً: معنى الظن في هذا الحديث

قال الطيببي في معنى هذا الجزء من الحديث: الظن في الحديث يجوز إجراؤه على ظاهره ويكون المعنى أنا أعامله على حسب ظنه بي وأفعل به ما يتوقعه مني من خير أو شر، والمراد الحث على تغليب الرجاء على الخوف وحسن الظن بالله، ويجوز أن يراد بالظن اليقين والمعنى: أنا عند يقينه بي وعلمه بأن مصيره إليَّ وحسابه علي، وأن ما قضيت به له أو عليه من خير أو شر لا مرد له[٣].

وقال القاضي عياض في تفسير: "أنا عند ظن عبدي بي.." بالغفران له إذا استغفر، والقبول إذا تاب، والإجابة إذا دعاني، والكفاية إذا استكفاني"[٤] وقال الأمام النووي: وقيل المراد به: الرجاء وتأميل العفو[٥].

(١) انظر المحكم والمحيط الأعظم ١٠/ ٨، لسان العرب ٢٧٢/١٣، مختار الصحاح ٣١٠/١. مادة "ظنن".
(٢) التعريفات ص التعريفات ص١٤٤.
(٣) انظر تحفة الأحوذي ٥٣/٧.
(٤) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ١٧٢/٨.
(٥) انظر شرح النووي ٢/١٧.

ثالثاً: في معنى قوله: "وأنا معه إذا ذكرني.."

بدلالة هذا الجزء من الحديث وبأمثاله من النصوص أثبت أهل السنة معية الله سبحانه وتعالى لخلقه، وهذه لا توجب حلولاً ولا اختلاطا ولا تنافي علو الله تعالى لأن معناها بإجماع أهل العلم(١): العلم والإحاطة، أي أن الله تعالى معنا بعلمه وإحاطته وهي على نوعين:

الأول: معية عامة مع الخلق كلهم ويدل على ذلك قوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}[الحديد: ٤] ومقتضى هذه المعية: العلم والإحاطة والقدرة.

الثاني: معية خاصة بأنبيائه وأوليائه ويدل عليها قوله تعالى: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة:٤٠]. وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٨] ومقتضى هذه المعية: النصر والإعانة والتأييد.

والمعية هنا في هذا الحديث من القسم الثاني وهو المعية الخاصة.

وقد وافق غالب شراح الحديث السلف في بيان معنى المعية الواردة في الحديث فقال ابن حجر في قوله"وأنا معه حين يذكرني": أي بعلمي وهو كقوله تعالى: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ}[طه:٤٦] والمعية المذكورة أخص من المعية في قوله تعالى: {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا}[المجادلة:٧] (٢).وكما وافق ابن حجر السلف في ذلك؛ فإن النووي رحمه الله كذلك حيث يقول في بيان معنى قوله"أنا معه": أي بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية وأما قوله"وهو معكم أينما كنتم" فمعناه: العلم والإحاطة(٣).

(١)وقد قرر ذلك الآجري في الشريعة انظر ١٠٨١/٣ وغيره كثير. وحكى الإجماع على ذلك ابن أبي شيبة انظر: محمد ابن أبي شيبة وكتابة العرش ص ٢٨٨، والطلمنكي انظر درء التعارض بين العقل والنقل ٢٥٠/٦، اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٤٢.

(٢) انظر فتح الباري ٣٨٦/١٣.

(٣) انظر شرح النووي ٢/١٧.

وقد خالف في صفة المعية طوائف منها:

١- النجَّارية وكثير من عباد الجهمية وصوفيتهم وعوامهم يقولون إنه بذاته في كل مكان كما يقوله أهل الوحدة، وهم يحتجون بنصوص المعية والقرب ويتأولون نصوص العلو والاستواء[١].

٢- وزعمت بعض الطوائف[٢] أن الله فوق العرش وهو في كل مكان بذاته، وهذا القول – كما ذكر ابن تيمية – موجود في كلام طائفة من السالمية والصوفية[٣] وحجتهم في ذلك إعمال النصوص كلها نصوص العلو والاستواء، ونصوص المعية.

وكلا القولين باطلان، وأهل السنة لا يرون تعارضاً بين صفة العلو والفوقية، وبين المعية، وقد جاء عن الإمام أحمد في قوله تعالى: {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا}[المجادلة:٧] قال: علمه: عالم بالغيب والشهادة، علمه محيط بالكل، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة وسع كرسيه السموات والأرض بعلمه"[٤] وقد نقل الإجماع غير واحد من أهل العلم كما سبق.

(١) انظر الملل والنحل ٩٠/١، مجموع الفتاوى ١٢٣/٥.
(٢) ذكر الأشعري أن زهير الأثري وأبو معاذ التومني ينتهيان إلى هذا الرأي انظر مقالات الإسلاميين ٣٥١/١.
(٣) انظر مجموع الفتاوى ١٢٤/٥.
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي ٤٠٢/٢.

مناقشة المخالفين في صفة المعية:

إذا كانت معية الله لخلقه لا توجب حلولاً ولا اختلاطا ولا تنافي علو الله تعالى كما سبق بيانه؛ فإن هناك طوائف فسرت معية الله تعالى لخلقه بما يقتضي الحلول والاختلاط، وهذا باطل من وجوه(١):

الأول: أنه مخالف لإجماع السلف فما فسرها أحد منهم بذلك بل كانوا مجمعين على خلافة.

الثاني: أنه منافٍ لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع، وما كان منافياً لما ثبت بدليل كان باطلاً بما يثبت به ذلك المنافي، وعلى هذا يكون تفسير معية الله لخلقه بالحلول والاختلاط باطل بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع.

الثالث: أنه مستلزم للوازم الباطلة كالتعدد والتجزؤ أو كونه في الأماكن التي يُنزه الله سبحانه وتعالى عنها، وإذا تبين بطلان هذا تعين أن يكون الحق هو أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطاً بهم علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وتدبيراً وسلطاناً وغير ذلك مما تقتضيه ربوبيته.

وقد قال الإمام ابن تيمية: وليس معنى قوله "وهو معكم" أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة فهذا القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر أينما كان، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع عليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته(٢).

والعلو والفوقية والمعية حق على حقيقته لا يناقض بعضه بعضاً، وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا

(١) انظر القواعد المثلى ص٥٤.

(٢) انظر العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى٣/١٤٢.

يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[الحديد:٤] ولو فرض امتناع اجتماع المعية والعلو في حق المخلوق؛ لم يلزم أن يكون ذلك ممتنعاً في حق الخالق الذي جمع لنفسه بينهما لأن الله لا يماثله شيء(١).

ومعية الله سبحانه لخلقه وردت في أكثر من موضوع في النصوص الشرعية وهذا المواضع بينها قدر مشترك وإن كان يفضل بعضها بعضاً، فمثلاً معية الله للنبي ﷺ ليست كمعيته مع أفراد الناس، ولذلك لا تأخذ حكماً عاماً إلا بالقدر المشترك ويبقى تفسرها الخاص حسب مقتضى النص الوارد.

المطلب الثاني: في قوله: "فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ.."

أولاً: في معنى قوله: "فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي.."

قال المازري: النفس تطلق في اللغة على معانٍ منها الذات، والله تعالى له ذات حقيقة وهو المراد بقوله تعالى: "في نفسي" ومنها الغيب وهو أحد الأقوال في قوله تعالى: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ}[المائدة:١١٦] أي ما في غيبي، فيجوز أن يكون أيضاً مراد الحديث: أي إذا ذكرني خالياً أثابه الله وجزاه عما عمل بما لا يطلع عليه أحد(٢).

وقال الحافظ ابن حجر قريباً من ذلك فقال: إن ذكرني بالتنزيه والتقديس سراً ذكرته بالثواب والرحمة سراً(٣).

والراجح هنا في معنى النفس هو الذات.

ويُفهم في كلام الشرَّاح السابق تأويلهم لذكر الله تعالى للعبد بأنه الثواب والرحمة؛ وهذا مخالف لظاهر النص وقد قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ}[البقرة: ١٥٢]. فالإنعام والثواب والرحمة أمر زائد عن ذكر الله للعبد فقد يذكر الله العبد في الملأ الأعلى كما في حديث مباهاة الله للعباد وهي كثيرة.

(١) انظر الرسالة الحموية ضمن مجموع الفتاوى ١٠٢/٥، القواعد المثلى ص٥٩.
(٢) انظر شرح النووي ٢/١٧.
(٣) انظر فتح الباري ٣٨٦/١٣.

ثانياً: في معنى قوله: "وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم.."

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في معنى هذا الجزء من الحديث: "أي إن ذكرني في نفسه ذكرته بثواب لا أطلع عليه أحدا، وإن ذكرني جهراً ذكرته بثواب أطلع عليه الملأ الأعلى"(١).

وقيل يحتمل أن المراد بهذا الجهر، وبالأول السرّ، ويحتمل أن المراد بالأول الذكر حال الوحدة، وههنا الذكر مع الكثرة الشاغلة عنه(٢).

ونقل الحافظ ابن حجر عن بعض أهل العلم بدلالة هذا الحديث أن الذكر الخفي أفضل من الذكر الجهري(٣).

والمقصود بالملأ هنا هم الملائكة.

المطلب الثالث في قوله: "وإن تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً.."

أولاً: محددات لغوية:

تعريف الشبر في اللغة:

الشبر ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر بالتفريج المعتاد، والجمع أشبار، وقال سيبويه: ولم يجاوزوا به هذا وهو بالكسرِ(٤).

تعريف: البوع في اللغة.

الباع والبوع واحد وجمعها أبواع، وهو مسافة قدر مد اليدين وما بينهما من البدن(٥).

---

(١) انظر فتح الباري ٣٨٦/١٣.

(٢) انظر حاشية السندي على سنن ابن ماجة ٢٥٩/٤.

(٣) انظر فتح الباري ٣٨٦/١٣.

(٤) انظر لسان العرب ٣٩١/٤، القاموس المحيط ص٥٢٩، المصباح المنير ٣٠٣/١، مختار الصحاح ص١٩٨، مادة "شبر"

(٥) انظر لسان العرب٢١/٨، القاموس المحيط ص٩١٠ مادة "بوع"، النهاية في غريب الحديث ١٦٢/١.

تعريف: الهرولة في اللغة:

الهرولة ضرب من الإسراع وهو بين المشي والعدو[1].

الجمع بين بعض الألفاظ:

في هذا الجزء من الحديث جاء لفظ "تقربت إليه" الدال على صفة القرب، وقد جاء في بعض الروايات بلفظ الدنو كما جاء عند الإمام أحمد بلفظ "وإن دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً... الحديث"[2].

والقرب والدنو بمعنى واحد، قال في لسان العرب: دنا وأدنى ودنى إذا قرب[3].

وعلى هذا ليس بين اللفظين تعارض بل يحمل أحدهما على الآخر.

وجاء في بعض روايات الحديث كما عند الإمام أحمد "ومن جاءني يمشي جئته مهرولاً[4]".

والمجيء والإتيان بمعنى واحد، قال في لسان العرب: الإتيان المجيء، أتيته أتياً وإتياناً جئته[5].

وعلى هذا فيحمل أحد اللفظين على الآخر وكلاهما جاء به النص الشرعي.

ثانياً: بيان معنى قرب الله من العبد

في هذا الجزء من الحديث أن العبد كلما قرب إلى الله بالعمل الصالح قرب الله منه، وكلما زاد بالعمل وزاد قرباً فالله سبحانه يتقرب منه أكثر،

(١) انظر لسان العرب ٦٩٦/١١، المصباح المنير ١٣٧/٢، مادة "هرول" غريب الحديث للحربي ٦٨٤/٢، النهاية في غريب الحديث ٢٦٠/٥.
(٢) مسند أحمد ح (١١٩٥٦) وانظر سياق روايات الحديث كما سبق.
(٣) انظر لسان العرب ٢٧٣/١٤، القاموس المحيط ١٦٥٦ مادة "أتي".
(٤) مسند الإمام أحمد مسند ح (٨٩٨٣) وانظر سياق روايات الحديث كما سبق.
(٥) انظر لسان العرب ١٤/١٤، القاموس المحيط ١٦٢٤.

وهذا القرب إنما يكون في الدنيا بالأعمال الصالحة لا في الآخرة يوم ترفع الأعمال عن العباد، كما ذكر ذلك عثمان بن سعيد الدارمي(١).

وقرب العبد من الله إنما يكون بالأعمال الصالحة كما نص ذلك غير واحد من أهل العلم، وليس في هذا خلاف كما ذكر الإمام الدارمي(٢)، أما قرب الله تعالى من العبد كما في هذا الحديث وأمثاله فيحتمل ثلاثة معان:

المعنى الأول: قرب الله تعالى يكون بتقريب العبد إليه فكلما قرب العبد منه كان الله تعالى قريباً منه بالضرورة كمن قرب إلى مكة فإنها تكون قريبة منه بالضرورة دون أن يلزم منها حركة.

المعنى الثاني: قرب الله تعالى بعلمه وقدرته وتدبيره من جميع خلقه.

المعنى الثالث: قرب الله تعالى بنفسه.

أما المعنى الأول: فمحل إجماع بين أهل السنة بل هو قول كل من يثبت أن الله فوق العرش، فقد قال الإمام الدارمي: "من آمن بأن الله فوق عرشه فوق سماواته علم يقيناً أن رأس الجبل أقرب إلى الله من أسفله وأن السماء السابعة أقرب إلى عرش الله تعالى من السماء السادسة، والسادسة أقرب إليه من الخامسة ثم كذلك إلى الأرض.

وقرب الله إلى جميع خلقه أقصاهم وأدناهم واحد لا يبعد عنه شيء من خلقه، وبعض الخلق أقرب من بعض على نحو ما فسرنا من أمر السموات والأرض، وكذلك قرب الملائكة من الله، فحملة العرش أقرب إليه من السماء السابعة، وقرب الله إلى جميع ذلك واحد وهذا معقول مفهوم إلا عند من لا يؤمن أن فوق العرش إله"(٣).

---

(١) انظر نقض الدارمي على المريسي ٢/٧٤٦.

(٢) انظر كلام الإمام الدارمي السابق.

(٣) نقض الدارمي على المريسي ١/٥٠٤.

وقال ابن تيمية: "وقربه من قلب الداعي له معنى متفق عليه بين أهل الإثبات الذين يقولون: إن الله فوق العرش ومعنى آخر فيه نزاع[1] فالمعنى المتفق عليه عندهم: يكون بتقريبه قلب الداعي إليه، كما يقرب إليه قلب الساجد كما ثبت في الصحيح: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"[2] فالساجد يقرب الرب إليه فيدنوا قلبه من ربه، وإن كان بدنه في الأرض، ومتى قرب أحد من الآخر صار الآخر قريباً بالضرورة، وإن قدر أنه لم يصدر من الآخر تحرك بذاته، كما أن من قرب من مكة قربت منه مكة"[3].

أما المعنى الثاني: وهو أن المراد بقرب الله تعالى: قربه بعلمه وقدرته، فهذا أيضاً محل إجماع من أهل السنة وكثير من الطوائف.

قال ابن تيمية: "قربه الذي هو من لوازم ذاته مثل العلم والقدرة فلا ريب أنه قريب بعلمه وقدرته وتدبيره من جميع خلقه لم يزل عليهم قادراً، وهذا مذهب جميع أهل السنة وعامة الطوائف إلا من ينكر علمه القديم من القدرية والرافضة ونحوهم، أو ينكر قدرته على الشيء قبل كونه من الرافضة والمعتزلة وغيرهم"[4].

وأما المعنى الثالث: وهو كون المراد بقربه: قربه بنفسه:

ومعنى ذلك أن الله يقرب بنفسه، وهذا لا يمتنع لا عقلاً ولا شرعاً، وأئمة السلف لا يمنعون ذاك، فقد قال شيخ الإسلام: "وأما قرب الرب قرباً يقوم به بفعله القائم بنفسه: فهذا ينفيه الكلابية، ومن يمنع قيام الأفعال الاختيارية بذاته، وأما السلف وأئمة الحديث والسنة فلا يمنعون ذلك وكذلك كثير من أهل الكلام، فنزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا ونزوله عشية عرفه

---

(١) وهو المعنى الثالث وسيأتي قريباً.

(٢) أخرجه مسلم في الصلاة ح (٤٨٢).

(٣) شرح حديث النزول ١/٣٧٦.

(٤) مجموع الفتاوى ٦/١٣.

وتقربه ذرعاً لمن تقرب إليه شبراً، ونحو ذلك من هذا الباب، فإنه لو أريد مجرد تقريب الحجاج وقوام الليل إليه لم يخص نزوله بسماء الدنيا"[١].

وقد قال ابن القيم: "والأصل أن الله قريب من المحسنين ورحمته قريبة منهم، فيكون قد أخبر عن قرب ذاته وقرب ثوابه من المحسنين"[٢].

ولكن مع إثبات القرب لله تعالى بنفسه؛ فإنه ليس المراد في جميع النصوص التي ورد فيها القرب وإنما ينظر إلى النص الوارد فيعمل على المعنى الذي دل عليه بأحد المعاني الثلاثة.

وقد قال الأمام ابن تيمية رحمه الله في ذلك: "ولا يلزم من جواز القرب عليه أن يكون كل موضع ذكر فيه قربه يراد به قربه بنفسه، بل يبقى هذا من الأمور الجائزة وينظر في النص الوارد فإن دل على هذا حمل عليه، وإن دل على هذا حمل عليه"[٣].

وعلى هذا لا يوصف الله بالقرب على وجه الإطلاق وقد قال ابن القيم في ذلك: "ولم يجئ القرب كما جاءت المعية خاصة وعامة، فليس في القرآن ولا في السنة أن الله قريب من كل أحد، وأنه قريب من الكافر وإنما جاءت خاصة"[٤].

وكلام ابن القيم لا ينفي المعنى العام بل ينفي أن يكون ورد بلفظ (القرب) وأما المعنى العام فهو موجود بألفاظ أخرى، وقد قال في موضوع آخر: "بل ظهر على كل شيء فكان فوقه، وبطن فكان أقرب إلى كل شيء من نفسه وهو محيط به حيث لا يحيط الشيء بنفسه، فهذا أقرب للإحاطة العامة.

---

(١) انظر شرح حديث النزول ٣٧٧/١، مجموع الفتاوى ١٢٩/٥ وانظر أيضاً ٢٤٠/٥، ٢٦٦، ٢٣/٦.
(٢) مختصر الصواعق المرسلة ٤٥٩/٢.
(٣) مجموع الفتاوى ١٤/٦.
(٤) مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٥٨.

وأما القرب المذكور في القرآن والسنة؛ فقرب خاص من عابديه وسائليه وداعيه وهو ثمرة التعبد باسمه الباطن قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}[البقرة: ١٨٦] وفي الصحيح عن النبي ﷺ مرفوعاً: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"(١)، فهذا قرب خاص غير قرب الإحاطة والبطون"(٢).

ثالثاً مناقشة المخالفين في معنى صفة القرب:

إذا كان إثبات أهل السنة لصفة القرب كما سبق بيانه؛ فإنه قد خالف ذلك كثير من شرّاح هذا الحديث وغيرهم ممن تأثر بعلم الكلام، وسبب الخلاف فيها هو إثبات معنى الحركة، فإن المتكلمين لا يعرفون من معنى الحركة إلا حركة الأجسام المكانية وهو انتقال الجسم من مكان إلى مكان بحيث يكون قد فرغ من الحيز الأول واشتغل بالثاني مع أن الحركة لها معاني عدة وليست خاصة بالأجسام فقد يقال جاءت الحمى وجاء الشتاء وجاءت العافية وغيرها(٣). مع أن لفظ الجسم والحركة لفظ مجمل لا يثبت بإطلاق ولا ينفى بإطلاق.

فقد أول الحافظ ابن حجر رحمه الله هذه الصفة بأن المقصود بقرب الله من العبد إثابته على طاعته وتقربه منه برحمته ونقل ذلك عن ابن بطال(٤)، وأيضاً الإمام النووي رحمه الله فقد قال بأن المراد بالقرب: التوفيق والإعانة(٥)، ونقل عنه ذلك شارح الترمذي(٦).

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) انظر طريق الهجرتين ص ٥١، ٥٢.
(٣) انظر بعضاً من معاني الحركة في مجموع الفتاوى ٥٦٦/٥.
(٤) انظر فتح الباري ٥٢٢/١٣.
(٥) انظر شرح النووي ٢/١٧.
(٦) انظر تحفة الأحوذي ٤٦/١٠ وقال بعد ذلك لاحاجة إلى هذا التأويل ونقل كلام الترمذي حول إثبات أحاديث الصفات.

وقد اعتمد ابن حجر على نفي هذه الصفة على نفي الحركة حيث يقول: "معتقد سلف الأمة وعلماء السنة من الخلف أن الله منزه عن الحركة والتحول والحلول ليس كمثله شيء"(١).

وقد جعل الحافظ ابن حجر الصفات الفعلية – كالقرب – غير قائمة به سبحانه وخالف السلف حيث جرى على نفي مدلول الألفاظ التي لم ترد في الشرع لا نفياً ولا إثباتا، ونفاها نفياً مطلقاً من غير استفصال(٢). ومعلوم أن طريقة أهل السنة الاستفصال كما هو معروف.

وسبب خطأ هؤلاء قياسهم على المخلوق، وإلا فليس هناك مانع من أن يتقرب الرب إلى عبده مع علوه، وأن يأتيه كيف شاء بدون كيفية، كما أنه ينزل إلى السماء الدنيا وإن كان مستوياً على العرش، وكما أن الروح تتحرك وهي لم تغادر البدن فكذلك قربه تعالى من العبد ولهذا نظائر كثيرة.

رابعاً: الصفات الواردة في هذه الجملة من الحديث مع مناقشة المخالفين فيها

أ ــ صفة الهرولة:

جاء في هذا الحديث:"وإن أتاني يمشي أتيته هرولة" ويدل هذا الجزء من الحديث على إثبات صفة الهرولة وهي صفة فعل متعلقة بمشيئة الله وقدرته بلا كيف تليق بالله جل وعلا.

وعلى طريقة أهل السنة المعروفة في إثبات الصفات الفعلية فقد أثبتها أهل السنة والجماعة على حقيقتها؛ فقال القاسمي بعد ذكر هذا الحديث مثبتاً الهرولة: وإذا علمنا ذلك وضح الحق من غير دقة غموض ولا تعارض بين

---

(١) فتح الباري ١٢٤/٧.

(٢) انظر منهج الحافظ ابن حجر في العقيدة ١٤٥٥/٣.

النصوص ولم يجب التأويل[1]، وقال أبو إسماعيل الهروي: باب الهرولة لله عز وجل ثم ساق حديث أبي هريرة[2].

وأثبتها كباقي الصفات الاختيارية الإمام ابن تيمية رحمه الله كما جاء بها الحديث[3].

مع أن بعض المنتسبين للسلف رأى أنه لما كانت الأعمال الصالحة لا تستلزم كلها المشي بل منها ما قد يكون بالقلب فحسب كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم، وأطلق الله عليها في هذا الحديث أنها مشي وحركة كما جاء في الحديث "وإن تقرب إليّ بشير تقربت إليه ذراعاً.. وإن أتاني يمشي أتيته هرولة" فهذه قرينة شرعية تبين أن المراد بالهرولة لله تعالى ليس المقصود بها الهرولة الحقيقية؛ بل المقصود بها سرعة قبول الله تعالى وإقباله على عبده المتقرب إليه.

وممن ذكر هذا الرأي الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله، وقال إن هذا الرأي له حظ من النظر، والقول الأول أظهر وأسلم وأليق بمذهب السلف ــ أي إثبات هرولة حقيقية ــ فقال رحمه الله: "وذهب بعض الناس إلى أن قوله تعالى في هذا الحديث القدسي: أتيته هرولة، يراد به سرعة قبول الله تعالى وإقباله على عبده المتقرب إليه المتوجه بقلبه وجوارحه، وأن مجازاة الله للعامل له أكمل من عمل العامل، وعلل ما ذهب إليه بأن الله تعالى قال: (ومن أتاني يمشي) ومن المعلوم أن المتقرب إلى الله عز وجل الطالب للوصول إليه لا يتقرب ويطلب الوصول إلى الله تعالى بالمشي فقط؛ بل تارة يكون بالمشي كالسير إلى المساجد ومشاعر الحج والجهاد في سبيل الله ونحوها، وتارة بالركوع والسجود ونحوهما، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، بل قد يكون التقرب إلى الله تعالى وطلب

---

(١) انظر إيثار الحق على الخلق ص١٤٤.

(٢) انظر الأربعين في دلائل التوحيد ص٧٩.

(٣) انظر العقيدة الأصفهانية ٨٥.

الوصول إليه والعبد مضطجع على جنبه كما قال الله تعالى:{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ}[آل عمران: ١٩١] وقال النبي ﷺ لعمران بن حصين: "صل قائما فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب"(١).

فإذا كان كذلك صار المراد بالحديث بيان مجازاة الله تعالى العبد على عمله وأن من صدق في الإقبال على ربه وإن كان بطيئاً جازاه الله تعالى بأكمل من عمله وأفضل، وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية المفهومة من سياقه.

وإذا كان هذا ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية لم يكن تفسيره به خروجا عن ظاهرة ولا تأويلاً كتأويل أهل التعطيل فلا يكون حجة لهم على أهل السنة ولله الحمد.

وما ذهب إليه هذا القائل له حظ من النظر، لكن القول الأول أظهر وأسلم وأليق بمذهب السلف.

ويجاب عما جعله قرينة من كون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه لا يختص بالمشي؛ بأن الحديث خرج مخرج المثال لا الحصر فيكون المعنى من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلى المشي لتوقفها عليه بكونه وسيلة لها كالمشي إلى المساجد للصلاة أو من ماهيتها كالطواف والسعي، والله تعالى أعلم"(٢).

وهذا القول ليس مخالفة ولا تأويلاً بدون دليل، بل بقرينة شرعية خلافاً للمتكلمين الذين صرفوا اللفظ عن ظاهرة بحجة عقلية.

المخالفون في صفة الهرولة:

إذا كان إثبات صفة الهرولة لله تعالى كما مر في مذهب السلف؛ فإن كثيراً من المتكلمين قد أوّل هذه الصفة وبين أن المقصود بالهرولة المبالغة

(١) أخرجه البخاري في صلاة القاعد والإيماء ح(١١١٧).
(٢) القواعد المثلى ص٧١ ، ٧٢ وقد نقلت هذا الكلام بطوله لأهميته في هذه المسألة.

في إظهار الإقبال والرضي والإنعام(١)، وقد غالى بعضهم في القطع بتأويلها فقال ابن جماعة: "لا يشك عاقل ولا يرتاب أن ظاهر ذلك غير مراد ومن خالجه عقله بخلاف ما قلنا فغير مستحق لخطاب أو رد جواب"(٢).

وقد نحا نحو ما سبق بعض شرّاح الحديث فقد قال النووي بعد ذكر هذا الحديث: "هذا الحديث من أحاديث الصفات ويستحيل إرادة ظاهره، وقد سبق الكلام في أحاديث الصفات مرات ومعناه: من تقرب إليّ بطاعتي تقربت إليه برحمتي وبالتوفيق والإعانة وإن زاد زدت، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة: أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود، والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه"(٣)، وقد نقل الحافظ ابن حجر كلام النووي هذا مقراً له، ونقل عن ابن بطال أيضاً تأويل هذه الصفة(٤).

وسبب تأويل هذه الصفة هي نفس شبه المتكلمين في نفي الصفات الفعلية لله تعالى، وهذا منهم قصور في فهم المعنى اللائق به سبحانه وتعالى فمثلاً يقول ابن بطال: "ووصفه بالإتيان والهرولة كل ذلك يحتمل الحقيقة والمجاز فحملها على الحقيقة يقتضي قطع المسافات وتداني الأجسام وذلك في حقه تعالى محال، فلما استحالت الحقيقة تعين المجاز لشهرته في كلام العرب"(٥).

ولكن هذا التصور لمعنى الحركة والانتقال قاصر، فهم لا يعرفون من الحركة إلا حركة الأجسام مع أن الحركة قد تكون للجسم ولغير الجسم كما يقال جاء الليل وجاء البرد وأتى المرض وذهبت العافية وغيرها، ولا أدل على ذلك من حركة الروح فالروح تتحرك وتصعد وهي لم تغادر بدنها،

(١) انظر أقاويل الثقات ص٢٢١، غاية المرام ١/١٤٣ إيضاح الدليل ص٩٩، أصول الدين ص٨٤ .
(٢) إيضاح الدليل ص٩٩.
(٣) شرح النووي ٢/١٧.
(٤) انظر فتح الباري ١٣/٥١٣.
(٥) نقلاً عن فتح الباري ح (٦٩٨٢).

فصفة الهرولة ثابتة لله تعالى وإن كان مستوياً على عرشه ليس كمثله شيء، وهذه الصفة متعلقة بمشيئة الله تعالى وقدرته فهي كمال في وقتها وحينها، أما قبل حدوثها، فهي عدم ليست بكمال ولا نقص.

ب ـ صفة الإتيان:

ورد في بعض روايات الحديث "أتيتك هرولة.."

وجاء في بعض روايات الحديث كما عن الإمام أحمد "ومن جاءني يمشي جئته مهرولاً"(١).

والمجيء والإتيان بمعنى واحد، قال في لسان العرب:"الإتيان المجيء أتيته أتياً وإتياناً جئته"(٢) وعلى هذا فيحمل أحد اللفظين على الآخر وكلاهما جاء به النص الشرعي.

وصفة الاتيان ثابته بهذا الحديث وبغيره فقد قال الله تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ}[الأنعام: ١٥٨] وهذه الصفة يثبتها أهل السنة على حقيقتها كما يليق بجلال الله وقدرته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف إتياناً كما يشاء ويختار سبحانه.

المخالفون في صفة الإتيان:

خالف أهل الكلام فتأولوا صفة بالإتيان بناءً على أن كل ما يصح عليه الانتقال من مكان إلى مكان فهو محدود متناه فيكون مختصاً بمقدار معين وذلك على الإله القديم محال(٣)، وقالوا بأن المراد الإتيان: إتيان أمره(٤).

ولاشك أن هذا التأويل فاسد والقاعدة التي بنوا عليها هذا التأويل قاعدة غير صحيحة، ويقال في رد هذا التأويل كما قيل في من تأوّل صفة الهرولة.

---

(١) مسند الإمام أحمد ح (٨٩٨٣) وانظر روايات الحديث كما في أول البحث.

(٢) انظر لسان العرب ١٤/١٤، القاموس المحيط ص١٦٢٤.

(٣) انظر أساس التقديس ص٨٣.

(٤) انظر أساس التقديس ص٨٥.

ج ــ صفة المشي:

جاء في بعض روايات الحديث "ابن آدم قم إليّ أمشي إليك وأمش إليّ أهرول إليك"(١)

وبدلالة هذا الحديث تثبت صفة المشي لله تعالى، ومنهج أهل السنة في إثباتها معروف يقال فيها ما يقال في صفة الهرولة والإتيان، على أن من العلماء من يثبت صفة المشي من إثبات صفة الهرولة لأن الهرولة هي الإسراع في المشي.

المخالفون في صفة المشي:

وقد تأول من نحا نحو أهل الكلام من شرّاح الحديث هذه الصفة فقال صاحب فيض القدير حول هذه الصفة: "قال بعض العارفين هذا وأشباهه إن خطر ببالك أو تصور في خيالك أن ذلك مشي جارحة فأنت هالك، فإنه سبحانه بخلاف ذلك، وإنما معناه أنك إذا تقربت إليه بالخدمة تقرب منك بالرحمة"(٢).

وهذا التأويل مخالف لما عليه سلف الأمة من الإيمان بمعاني النصوص على ظاهرها فلا يمنع أن يتقرب الله إلى العبد بالرحمة والمغفرة، وأن يثبت له فعل المشي حقيقة ولكنه مشي ليس كمشي المخلوقين فالله ليس كمثله شي.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فيض القدير ٤/٤٦١.

الخاتمة

وبعد هذا العرض الموجز لمسائل حديث أبي هريرة في إثبات صفة القرب لله سبحانه وتعالى؛ اختم هذا البحث بأهم النتائج وهي كالتالي:

- هذا الحديث أصل عظيم في الحث على التقرب إلى الله بشتى أنواع القربات وكل ما تقرب العبد إلى الله بالطاعة تقرب الله إليه أكثر. وهذه دعوة من رب العالمين للمسارعة في العمل والقربة.
- حديث أبي هريرة حديث صحيح وقد كثر رواته وتضافرت كتب الحديث على إخراجه.
- لله سبحانه وتعالى مع خلقه معية لا توجب حلولاً ولا اختلاطاً بإجماع أهل العلم وهي على نوعين:
  - معية عامة مع الخلق كلهم.
  - معية خاصة بأنبيائه وأوليائه.
- أن القرب الوارد في الحديث من العبد إنما يكون بالأعمال الصالحة في الدنيا.
- قرب الله تعالى من العبد له ثلاثة معان:
  - أن قرب الله تعالى يكون بتقريب العبد إليه، فكلما قرب العبد منه كان الله تعالى قريباً منه بالضرورة كمن قرب من مكة قربت منه مكة بالضرورة دون أن يلزم منها حركة وهذا المعنى محل إجماع بين أهل السنة وكثير من الطوائف.
  - أن المراد بقرب الله تعالى قربه بعلمه وقدرته، وهذا أيضاً محل إجماع من أهل السنة وكثير من الطوائف.
  - أن المراد بقرب الله تعالى قربه بنفسه، وهو قول أهل السنة وينفيه من ينفي قيام الصفات الاختيارية به سبحانه.
- أوّل كثير من المخالفين هذا القرب بناءً على نفيهم للحركة لله تعالى وأنه لا يتصور من الحركة إلا حركة الجسم، وهذا غير صحيح فالحركة للجسم ولغير الجسم، مع أن الله لا يقال عنه: هو جسم ولا غير جسم.

- ورد في هذا الحديث صفة الهرولة والإتيان والمشي وهي من الصفات الاختيارية الثابتة لله تعالى بدلالة هذا الحديث وغيره، وتثبت هذه الصفات على حقيقتها بدون تأويل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل وعامة السلف على هذا.
- فسر بعض المتبعين للسلف الهرولة في الحديث بأنها سرعة قبول الله تعالى وإقباله على عبده وذلك بدلالة قوله في الحديث "ومن أتاني يمشي" مع أن بعض العبادات ليس فيها مشي، وهذا ليس صرفاً للفظ عن ظاهرة لوجود القرينة الشرعية.

فهرس المراجـــع

- ●إثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحـــق مـــن أصـــول التوحيد، محمد بن إبراهيم القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعـــة الثانية، ١٩٨٧هـــ.
- ●أساس التقديس في علم الكلام، فخر الدين الرازي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـــ.
- ●أصول الدين، عبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيـــروت، الطبعـــة الثانية، ١٤٠١هـــ.
- ●إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، القاضي عياض، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٩ه
- ●أقاويل الثقات فـــي تأويـــل الأســـماء والصـــفات والآيـــات المحكمـــات والمتشابهات، مرعي بن يوسف الكرمي، تحقيـــق: شـــعيب الأرنـــاؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـــ.
- ●الأربعين في دلائل التوحيد، عبد الله بن محمد الهـــروي، تحقيـــق: علـــي الفقيهي، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـــ، بدون ذكر الناشر.
- ●الأسماء والصفات، البيهقي، عماد الدين أحمد حيدر، دار الكتاب العربـــي، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـــ.
- ●التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنـــان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـــ.
- ●الرسالة الحموية، ابن تيمية ضمن مجمـــوع الفتـــاوى، جمـــع وترتيـــب: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعـــة المصـــحف الشـــريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـــ، بدون رقم الطبعة.
- ●الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـــ.

•العقيدة الوسطية، ابن تيمية، ضمن مجمـوع الفتـاوى، جمـع وترتيـب: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعـة المصـحف الشـريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ، بدون رقم الطبعة.

•القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، بدون بقية المعلومات.

•القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسـنى، ابـن عثيمـين، مكتبـة المعارف، الرياض، ١٤٠٥هـ، بدون رقم الطبعة.

•المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، بـدون رقم الطبعة ولا تاريخها.

•الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيـق: محمـد سـيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ، بدون رقم الطبعة.

•النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الاثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العالمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

•إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، محمد بن جماعـة، تحقيـق: وهبي الألباني، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

•بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، الناشر: نزار مصطفى الباز، مكة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

•تحفة الأحوذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلميـة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

•حاشية السندي على ابن ماجه، تحقيق: خليل مأمون شيما، دار المعرفـة، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

•شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، تحقيق: سعيد بن نصر بـن محمـد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

•شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق: عبد الله التركي وتعقيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ.

•شرح النووي على صحيح مسلم، يحى بن شـرف النـووي، دار إحيـاء التراث العربي، بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

- شرح حديث النزول ابن تيمية، تحقيق: محمد الخميس، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
- غاية المرام في علم الكلام، علي الآمدي، تحقيق: حسن بن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ، بدون رقم الطبعة.
- غريب الحديث، إبراهيم الحربي، تحقيق: سليمان العايد، جامعة أم القرى مكة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، بدون رقم الطبعة.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.
- لسان العرب، دار صادر، بيروت، بدون رقم الطبعة ولا تاريخها.
- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ، بدون رقم الطبعة.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة، الأولى، ١٤٢١هـ.
- محمد بن أبي شيبه وكتابه العرش، ابن أبي شيبه، تحقيق: محمد خليفة التميمي، مكتبة الرشيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- مختار الصحاح، محمد ابن بكر الرازي، تحقيق: محمد خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ.

●مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن قـيم الجوزيـة، بدون بقية المعلومات.
●مسند أحمد، الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخـرون، مؤسسـة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
●مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ.
●منهج الحافظ بن حجر في العقيدة من خلال كتابة "فـتح البـاري" محمـد إسحاق كندو، مكتبة الرشيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
●نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: رشيد حسين الألمعي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.